العاصمة

The city

قصص قصيرة



يمينة فادن

العاصمة

مجموعة قصص

الكاتبة: يمينة فادن Yamina fadene

Instagram   @yamina_fadene

سنة 2020

أهديه هذا الكتاب لكل من يملك طموحا أو فكرة
يراها غيره غبية ،اسع و ابحث و اجتهد فالبداية صعبة
و لكنها ليست مستحيلة أبدا

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة قصص أردت بها
دخول عالم الكتابة

و الأجمل آتي بإذن الله

Yamina fadene

إهداء

إلى أمي التي أحبها...

إلى أختي ربيعة و نجاة الغاليتين على قلبي

أهدي هذا الإنجاز الصغير إلى نفسي لأنها تستحق

البداية صعبة لكنها ليست مستحيلة

تنسيق الكتاب:يمينة فادن Yamina fadene

صورة الغلاف: موقع pixels

تصميم الغلاف: يمينة فادن Yamina fadene

تدقيق لغوي :يمينة فادن

مدونتي الشخصية

https://tell-stories1.blogspot.com/

صفحتي على الأنستغرام

https://www.instagram.com/yamina_fadene/

Instagram @yamina_fadene

صفحتي على الفايسبوك:

fb.me/yaminafadene

الحارس

لم يعد أحد يهتم بي سأغادر المنزل سأذهب في أول قطار متجه للعاصمة فهناك حتما سأجد وظيفة و أرفع مستواي المعيشي قليلا بدل هذا الركود فالقرية ليس فيها شيء، نفس الوجوه و نفس الكلام و نفس المناظر،صحيح أن الهدوء جميل لاكن كثرته تصبح مرضا و أنا مللت الصمت الدائم.

والدي لا يفهمني يريد أن أرث عمله في حراسة أرض السيد الذي يعمل لديه فهذا العمل ورثه والدي عن والده و هكذا بقينا نتوارث لأجيال نفس العمل لكنني قررت أن أقطع سلسلة الزمن هذه و أخرج من عباءة الحارس ابن الحارس.

أنا لا ألوم والدي أبدا فقد ولد هكذا و أحب العمل و تزوج ابنة حارس آخر و هكذا و كانت الحياة جميلة، لكن عندما أرى أولاد السيد قادمين من العاصمة و قد أنهوا دراستهم و أصبحوا محامين و أطباء و أنا مازلت في مكاني أنتظر قدومهم و ألوح لهم و أنا أفتح الباب،

لم تكن قط تلك حياتي بل رأيت نفسي في مكان آخر،صحيح أنني لم أكمل تعليمي فعمل والدي أجبرني على البقاء في الليل مع أخواتي البنات في المنزل لاكن الحمد لله فوالدي قد زوج بناته جميعا لهذا لم يبقى شيء أفعله هنا سوى مراقبة أولاد السيد و هذه حتما ليست حياتي.

لم تكن مفاتحة والدي في الموضوع بالأمر الهين، بل على العكس كانت أشبه بالكلام مع الحائط المليء بالثقوب فوالدي أعطاني درسا في الحياة و درسا في الأخلاق قائلا لي خطاباته عن الحياة الكريمة و أنني هنا وسط أناس أعرفهم و كيف عساني أذهب إلى مكان آخر و أترك الراحة التي هنا،لم تشفع لي عنده كلمة مما قلتها عن احتقار نفسي أمام أولاد السيد فكانت إجابته مقنعة جدا و هي أنني من جعلتهم عمالقة في حياتي فلو نظرت أمامي لما وجدتهم لما كانوا يعيشون في عقلي هكذا و قد أخبرني والدي أن أتخذه مثالا قائلا:

أنظر إلي يا "عياش" لقد عملت معهم و لم أجعل من نفسي حاسدا لهم أو ناقما عليهم بل على العكس لقد عرفت نفسي و ما أنا عليه و ماذ ا يمكنني أن أفعل في حياتي و فعلت أنا حارس ابن حارس و أنت...

قاطعت كلامه قائلا:

.أنا لن أكون الحارس أبدا لأنني مثلك تماما عرفت ما أريده و ما استطيع فعله و لن أبقى فسامحني يا والدي.

لم تغب نظرة والدي تلك عن عيني قط و حتى إنه لم يودعني و غادر المنزل قائلا أنه ذاهب للعمل ،أما أنا فلقد قلت له أنا مغادر و عندما تعود لن تجدني، فسأكون قد ذهبت.

الساعة تشير إلى الحادية عشرة صباحا، وصلت الحافلة المتجهة لحياتي الجديدة في العاصمة، ركبت الحافلة ناظرا ورائي متخيلا والدي و هو يلوح لي،فرفعت يدي ملوحا للفراغ قائلا في نفسي:

. سوف أعود يا والدي غنيا و بعدها لن تحتاج العمل في الحراسة أبدا.

جلست في الحافة أمام رجل عرفني بنفسه قائلا:

. أهلا بك أنا عمك "النوي" هل أنت بخير

فرددت التحية قائلا:

. و بيك مرحبا أنا "عياش" أعمي و أنا ذاهب للعاصمة للعمل هناك

. ربي يسهل ،لاكن عليك أن تعرف أن العاصمة ليست سهلة

. لماذا يا عمي

. لأنني كلما أذهب هناك أضيع في الطريق و أسأل الكثيرين حتى أجد الطريق،فالعاصمة ليست قريتنا أبدا.

انظم إلينا في الحديث الرجل الجالس قبلنا و اسمه السعيد فبدأ يتكلم عن مغامرات أجداده مع الجن و الأشباح و قصص عائلته و التراث فهو ينتمي إلى أحد

العروش في قريته و يعتبرون من الأمراء إن صح التعبير.

كان الاستماع له أشبه بالوقوف وجها لوجه مع السبب وراء قراري بالرحيل،فأنا أتخيل نفسي أجلس في عمر السعيد بعد ثلاثين سنة لا أفعل شيئا سوى الحديث عن نفس الشيء   لاكن الحمد لله فلقد قرأت حساباتي و عرفت ما أريد لحياتي أن تكونه بعد ثلاثين سنة من الآن و حتما حارس ابن حارس ليس من ضمنها.

وصلت الحافلة إلى محطة اسمها البليدة و هي المحطة الكبرى في العاصمة حيث يقصدونها من كل الولايات،و مثلما يقولون:

."أنت في البليدة إذن أنت في العاصمة"

نزلت من الحافلة وودعت عمي النوي الذي ركب حافلة أخرى و هو يقول لي:

.سأمكث أسبوعا عند عمي أتمنى أن ألقاك في طريق العودة

فقلت له:

.لن أعود بعد أسبوع أنوي العيش هنا.

كانت ضحكت عمي النوي غريبة و هو يغادر في الحافلة.

أنا في العاصمة و هذه اكبر محطة للحافلات في العالم لا يمكن أن يكون هؤلاء جزائريون لم أكن أعرف أننا بهذا العدد،بينما كنت وسط هذه الغمرة اقترب مني شخص و سألني:

.أين تريد الذهاب

فقلت له باختصار:

.العاصمة

فأرشدني إلى الحافلة قائلا:

.هذه الحافلة متجهة للجزائر اركب فيها

شكرته و ركبت الحافلة و جلست و تقدم إلى المحصل قائلا:

.إلى أين

.العاصمة

فقال للسائق:

.عندك واحد تافورة

لم أدقق في الكلمة فتافورة ربما هي تسمية أخرى للعاصمة

انطلقت الحافلة و كانت الرحلة طويلة جدا قرابة العشرون محطة و كان هذا بمثابة الولادة مجددا،فلم أستطع النهوض من مكاني فلقد تسمرت في الكرسي و أنا أنتظر اسم تافورة في كل المحطات،لاكن دون جدوى لتأتي المحطة الأخيرة و يقول المحصل:

.تافورة الترمنوس و خرج مبتعدا عن الحافلة،و بدا الجميع ينزلون لأجد نفسي في محطة اسمها تافورة و هي مدينة لوحدها.

جلست أشرب القهوة في المقهى رغم ثمنها العجيب و بينما أنا أستريح من الصدمة و الطريق سمعت

شخصا يتكلم و ليسامحني الله على التجسس على الناس و يقول لصديقه عن ذالك الشخص الذي يبحث عن "عساس" لم أعرف ما هي الوظيفة بالضبط لكنني أعرف أن هناك شخصا يبحث عن شخص ليوظفه عنده لم أنتظر كثيرا فقفزت إليهما و قلت:

. ذلاني عليه أنا أبحث عن وظيفة.

أعطاني الرجل العنوان و هو يصف الشوارع و الأزقة فقاطعته قائلا:

. أنا جديد في العاصمة لا أعرف شيئا.

. نهض الرجل و قال لي:

. الحق بي لاكن بسرعة

مشيت خلفه في تلك الأزقة و الشوارع و للحظة ظننت أن فرنسا لم تغادر الجزائر أبدا فالنسوة ترتدين على الطريقة الأوروبية،صحيح توجد فتيات مستورات في اللباس لاكن هته النسوة الأوروبيات لباسا يأخذن نسبة كبيرة جدا.

لم أستطع رفع رأسي أبدا،تمنيت لو يختفين من على الطريق،نظر إلى السيد الذي يوصلني قائلا و هو يضحك:

.سوف تتعود هي مسألة وقت فقط.

.ليس علي أنا التعود بل عليهن أن يلبسن ثيابا أكثر

باستهتار كبير قال لي:

.أتمنى لك التوفيق في تغيير مجتمع بأكمله

أخيرا وصلنا عند رب عملي الجديد،مددت يدي لأصافحه لكنه لم ينظر حتى ليدي الممدودة مرحبة به، لاكن دون جدوى فاحترمت نفسي الملقاة تحت أقدامه و قمت بسحب يدي بسرعة و إعادتها إلي و كان هذا أول درس و هو أن لا يوجد علاقة بين العامل و رب عمله و تذكرت في هذا المشهد والدي و السيد فهما صديقان و يتسامران في الليل و لاكن أبي لم يتجاوز حدوده قط مع السيد.

بدأ وابل من الأسئلة ينهال علي من رب عملي الجديد و أراد معرفة كل شيء عني لم يبقى سوى أن يسألني

ماذا كانت ترتدي أمي عندما أنجبتني،أحسست أنني أتقدم لخطبة فتاة و لا أعتقد أن هذه الأسئلة ستكون كلها موجودة،أجبت على كل الأسئلة لم أدع سؤالا يفلت مني و بعد انتهاء رب عملي من طرح أسئلته،جاء دوري لطرح سؤالي المنتظر و هو ماذا سأعمل

فأجابني ب:

.عساس

فقلت له:

.أنا جديد في العاصمة لم أتعود بعد على المفردات العاصمية.

نكزني السيد الذي أوصلني و هو يقول و الضحكة تملئ فمه:

.ما بك يا صاحبي،عساس معناها حارس افتح مخك قليلا فالعاصمة ليست للأغبياء.

غادر السيد الذي أوصلني بسرعة متمنيا لي الحظ السعيد الذي أنا لست متأكدا أنه في صفي بل أعتقد أن حظي الجيد تركته في القرية عند والدي.

بدأت أضحك في داخلي كثيرا فوالدي العجوز البعيد و الذي لم يخرج إلا مرة أو مرتين كان معه حق فأنا حارس ابن حارس، لاكن رغم ذالك لن أعود فربما هذا العمل سيجلب لي عملا أفضل منه.

عملت في الحراسة و هي لا تختلف كثيرا عن عملي والدي فوالدي كان يحرس الأرض و يسقي الزرع و يطعم الأغنام و غيرها و كان أبي المسئول الكامل عن الأرض و يعمل تحت إشرافه عمال كثيرون، أما هنا فانا أفتح الباب و أسقي الزرع و أشتري اللوازم و غيرها،بدا العمل لي في البداية سهلا جدا لأنني تعلمت من الأفضل...والدي،لاكن عند قدوم الليل كان الوضع مختلفا فأنا لا يسمح لي بالمبيت في المنزل لهذا قصدت فندقا في البداية و لاكن الأمر لم ينجح فتكلفة الليلة فيه تعادل ثمن خروف و هذه الأسعار

في الفنادق و الكلمة التي سمعتها تتكرر حتى كرهتها هي:

"إنها العاصمة"

ما خطب الناس العاصمة ليست بذالك الإغراء لي أبدا،لقد أصبحت أخاف أن يكون والدي على حق.

لم أعرف ماذا أفعل و لا أين أذهب أحسست أن العالم كله يلتف بي فنقودي شارفت على الانتهاء و لم يمضي على عملي سوى يومين، لا يمكن أن أطلب أي شيء من رب عملي جلست على الأرض أشاهد الناس و العاصمة التي لا تنام فالمنظر لا يتغير في الصباح هناك أناس يخرجون و الليل لديه أناس آخرون يخرجون فيه،نظرت إلى نفسي و ما أفعله و إلى أين أنا ذاهب.

جلس بقربي شخص و بدأنا الكلام و أخبرني أنه عاطل عن العمل و لم يجد وظيفة مطلقا فكذبته و أخبرته أنني وجدت عملا فور قدومي إلى العاصمة،ضحك كثيرا وقائلا لي :

. في العاصمة عندما تجد عملا تفقد منزلا لذالك
عليك أن تكون مثلي و هي فقد عمل و امتلاك منزل.

و أخبرني أنه علي الاحتراس فليل العاصمة ليس مثل ليل القرية و غادر مسرعا فور قدوم صديق له أعطاه شيئا ثم بدأ يتنفس داخل كيس حليب فارغ،لم أعرف ما هذا الشيء لكنني لم أبقى لأعرف فنظرات ذالك الشاب تغيرت و أصبحت تذكرني بنظرات قريب لي كان مسكونا بالجن.

تعبت رجلاي من الركض و لم أرد الابتعاد أكثر كي لا أتوه في هذا الليل و لا أعرف الرجوع لعملي،فلم أجد حلا أمامي سوى الدخول للمقبرة التي بدت لي مكان مناسبة لكي أنام فيه فلا احد يزور المقابر في الليل.

جلست فوق العشب في مكان بعيد عن القبور احتراما للموتى، أفكر في كل ما مررت به منذ قدومي و كلام ذالك الشاب يدور في ذهني حول البيت و العمل فلن يجتمعا معا دائما و نظرت لنفسي،لقد وجدت عملا لكنني بلا منزل فهل هذا الذي أريده،زد على ذالك

الحصول على منزل أشبه بالمستحيل فالليلة الواحدة في الفندق تساوي ثروة ما بالك بشراء منزل.

جاء الصباح و قررت أن أفكر في نفسي قليلا لذالك اتخذت قراري بالعودة للمكان الذي فيه عمل و مسكن يأويني فقصدت منزل رب عملي اخبره بقراري ترك العمل لديه فتفاجأت به يخبرني بأنه علي البقاء للعمل لديه حتى نهاية الأسبوع حتى يجد شخصا آخر،فوافقت على الفور فوالدي علمني الالتزام بالرغم من أن ليلة واحدة في المقبرة جعلت الرعب يسكن قلبي لكن لا يوجد مفر أبدا،النوم في المقبرة و لا النوم في الشارع.

وجد رب عملي شخصا آخر يحل محلي وأقام بإعطائي أجرة الأسبوع التي عملتها لديه فاتضح لي في النهاية أنه شخص عادي ليس قاسيا أبدا بل على العكس أنا من كان علي تعلم فهم الناس لا الحكم عليهم.

ركبت الحافلة و كان في انتظاري عمي النوي ضاحكا مبتسما و هو يقول لي:

ألم أخبرك سنلتقي بعد أسبوع

ودعت العاصمة بكبرها و أنوارها و ليلها الجميل و أخذت طريقي باتجاه القرية التي هربت منها لنعيم العاصمة لأستيقظ على كابوس البطالة و الظروف المعيشية الصعبة و لأكتشف في النهاية أن والدي كان على حق عندما قال لي أن هذه الخبزة لن تجدها في أي مكان.

في كل صبح ينقضي،أو ينقضي مساء

يولد بعض الناس للشقاء

و يولد البعض لليل لا ينتهي

أغاثا كريستي ليل لا ينتهي

السمر

نهار العشاق هو الليل الذي يلتق فيه قلبان عاشقان تحت ضوء القمر أو تحت غطاء السرير حيث توهم الفتاة الجميع أنها نائمة و هي مستيقظة في عالم العشق الذي عنوانه الهاتف و توقيته الليل.

سمر فتاة جميلة تبلغ من العمر اثنين و عشرين سنة لا تعرف من النهار سوى ظهره لأنها في الصباح غائبة بحكم النوم لذا تستيقظ ظهرا لتبدأ بالحضور في حياة عائلتها.

سمر لا رقيب عليها فوالدها ميت و أمها تعيش في المطبخ و التلفاز،أما إخوتها فهم مثلها ليلهم لا ينتهي.

حبيب سمر هو جارهم في الحي و صديق إخوتها و بالطبع لا أحد يعرف ذالك أبدا.

استيقظت سمر على الواحدة ظهرا و كالعادة ذهبت للمطبخ لتعد الحليب،وكعادتها أمها استقبلتها

بالعتاب الدائم كأنها تعزف لحنا مملا غير ناجح بالمرة،و كعادتها سمر تقول لأمها:

.أنا متعبة لا تزيدي تعبي.

فردت عليها أمها و هي تمسح الطاولة و لم تلتفت لترى ابنتها التي خرجت من غرفتها شبه عارية قائلة لها:

.حالك لا تعجبني صديقاتك متزوجات و أنت مازلت عندي زد على ذالك أنت عاطلة عن العمل.

تأففت سمر في وجه أمها و غادرت حاملة كوب القهوة و هي تقول:

.أساسا هذا كل وما تعرفين القيام به ، ما رأيك أن تنصح أولادك الرجال الذين ينامون للمغرب،و أغلقت باب غرفتها بقوة،أما أمها فلقد أكملت مسح الطاولة الممسوحة أساسا.

جلست سمر على السرير تتفقد هاتفها و ترى الرسائل الواردة إليها على المسنجر و لاحظ أن حبيبها لم يهاتفها أو يرسل أية رسالة أبدا منذ آخر اتصال معه و

الذي كان على الساعة الرابعة فجرا،لم تنتظر سمر أبدا فاتصلت به لكن لم يرد فأرسلت له رسالة قالت فيها:

.هل استيقظت يا حبيبي

و أخبرته في الرسالة بكل ما دار بينها و بين أمها كما هي العادة بين العشاق و هي أن تخبر المرأة حبيبها بكل مشاكل أسرتها وحتى ماذا يوجد في ثلاجة بيتهم.

فزعت سمر عند سماع أخيها يخرج من غرفته فسارعت لتبديل الفايسبوك الخاص بحبيبها إلى فايسبوك يعرفه إخوتها فهي لن تخاطر أبدا باكتشاف إخوتها الأمر فحتما سيقتلونها.

ناداها أخوها قائلا لها:

.سو... حضري القهوة

فأجابت سمر بوداعة تامة

.حاضر يا أخي ستكون القهوة جاهزة في الحال

خرج إخوة سمر في العصر لرؤية أصدقائهم و لم يبق في المنزل سوى سمر و أمها التي تحتكر التلفاز فبرامج

الطبخ كثيرة و المسلسلات أيضا،و سمر تستغل هذا الغياب الكبير في المنزل لمصالحها الشخصية،فالعصر هو الوقت المناسب لبدء سمر إدارة مجموعتها في المسنجر الخاصة بالخلاعة فهي تمتلك مجموعة فيها ألف عضو كلهم من هواة الإباحة أو من الذين يهربون للإباحة من وحدتهم و حزنهم في الحياة،و لا أحد يدري بهذه المجموعة فلكل شخص حساب خاص به فلإخوتها و عائلتها حساب و لحبيبها حساب آخر أما عالمها الافتراضي الأسود فلديها حساب آخر تماما،فسمر اسم على مسمى فتاة تحب اللهو و قد وجدت الفرصة السانحة أمامها.

سمر أمام أمها مارد و مع إخوتها نعجة و مع حبيبها هي زوجة و عشيقة مطيعة و في مجموعة المسنجر هي مجرمة بكل معنى الكلمة فهي تهدد و تتوعد و تنشر صور السلاح و السكاكين التي يستعملونها في حرب الشوارع و التي أخذتها من غرفة إخوتها.

إخوة سمر خالد و مصطفى من زعماء الحي و ما جعلهم أخطر هو إدمانهم على المخدرات و الحشيش

فأصبحوا من أسياد الحي و كأي رجل مدمن في مجتمع فالرجولة عندهم في أعلى مستوياتها،فهم يواعدون النساء و إن اقترب شخص من أختهم يقتلونه بكل معنى الكلمة،فعندما كانت سمر في السادسة عشر قام شخص بمعاكستها فقامت بإخبارهم،فقاموا بضربه حتى كسروا عموده الفقري،الجريمة البشعة أدت لدخولها السجن مدة ثلاث سنوات أي أن سمر بقيت دون رقيب طيلة ثلاث سنوات.

جلس خالد و مصطفى في الحي يشربان الخمر و يعاقران المخدرات في تلك الزاوية المخصصة لهما مع أصدقائهما في الحي و فجأة نهض صديقهم وليد مسرعا بعد رنين هاتفه و كأن المتصل ملك الموت،فأخبره خالد ارجع إلى هنا فالساعة لم تتجاوز الواحدة صباحا و السهرة مازالت في أولها،لكن دون جدوى فوليد لم يلتفت أبدا.

التصق وليد بالحائط المقابل لهما قائلا بصوت خافت كي لا يسمعه خالد و مصطفى:

.كيف حالك يا حبيبتي...لقد استقت إليك كثيرا

أجابته سمر التي كانت تحت الغطاء بصوت خافت جدا

.لقد اشتقت إليك كثيرا يا حبيبي...لا تقلق فالجو هادئ و إخوتي ليسوا هنا

فأجابها وليد مبتسما لأخويها:

.أنا أعرف ذالك فهم ينظرون إلي الآن

ضحكت سمر قائلة بسخرية:

.لوح لهم من أجلي

نفذ وليد الأمر و رفع يده ملوحا لمصطفى و خالد التحية قائلا:

.اسألها إن كان لديها أخت

فرد عليه وليد:

. ليس لديها أخت بل لديها أخ

ضحك الثلاثة على النكتة و غادر وليد تاركا خالد ومصطفى في جلسة الأنس برعاية الشيشة و المخدرات و الحشيش.

استمر الحال هكذا لأشهر،لا سمر طلبت منه القدوم لخطبتها و لا وليد قرر الزواج بها فكلاهما مستمتع بلعبة المواعدة حيث هي تسأله إن كانت تستطيع الخروج و هو يحدد لها نظام حياتها بأكمله،حتى جاء ذالك اليوم الذي امتلئ الحي الشعبي برجال الشرطة أين انقلب زعماء الحي إلى خرفان لحظة قدوم الشرطة،ركض الجميع في كل الاتجاهات خوفا من أن يكونوا المقصودين بهذا الاعتقال.

توجهت الشرطة مباشرة لمنزل مصطفى و خالد،لم يستغرب أفراد الحي أبدا بل على العكس فهذان الأخوان من المجرمين و السوابق و من الطبيعي أن يتم اعتقالهما.

مكث أفراد الشرطة داخل المنزل فترة قصيرة و خرجوا على وقع صراخ أم سمر و هم يسحبون سمر واضعين الأغلال بين يديها، و أخوة سمر خلف أختهم يصرخون على الشرطة و يزيدون في الكلام،فقامت الشرطة باعتقالهم أيضا وسط ذهول أهل الحي.

وجهت عدة تهم لسمر أبرزها التهديد و نشر الإباحة و تكوين جماعة أشرار و فتح حسابات وهمية باسم المشاهير و تشويه سمعتهم فهي لم تكتف بفتح حسابات وهمية باسم شخصيات بارزة في المجتمع بل أدخلتهم في مجموعتها الإباحية في المسنجر و الفايسبوك مما جعل إحدى هذه الشخصيات تقاضي إحدى الحسابات الوهمية التي جعلتها تخسر حضانة أولادها لأن زوج هذه الفنانة قد اتهمها بخيانته و كان دليله في ذالك هو حساب باسمها على الفايسبوك يحتوي على آلاف المتابعين مما جعله حسابا رسميا لها أكثر من حسابها الأساسي كانت هذه الخلطة هي التي أوقعت سمر في شر أعمالها و كذالك حسابها الذي في البنك و النقود الذي حصلت عليها من الإعلانات و غيرها فسمر لا تخرج سوى مرة في

الأسبوع حسب قوانين إخوتها و في هذا اليوم تنجز كل أعمالها العالقة.

لم يكن صعبا على الشرطة تحديد مكانها فالنطاق الجغرافي للحساب زيادة على شريحة الهاتف أوصلتهم إلى عنوان منزلها.

سقطت أم سمر ميتة في المحكمة بعد إظهار التحقيقات لصور و فيديوهات لسمر و هي تمارس الإباحة الإلكترونية و غيرها الكثير.

حكم على سمر بالسجن لستة سنوات كاملة أما إخوتها فقد حكم عليهم بالسجن لسنة كاملة لأنهم من السوابق،أما وليد فلم يحضر للمحكمة للوقوف مع حبيبته أو حتى أصدقائه بل كان مشغولا بزواجه من ابنة عمه التي كانا مخطوبان منذ سنة كاملة،أما سمر فلقد أصبحت سيرتها على كل الألسنة و فضيحتها قد وصلت لنشرة الأخبار على التلفاز و صارت مشهورة في الواقع بينما كانت مشهورة في المواقع.

موكب العرس

.علاء هيا يا بني لا أريد التأخر على الزفاف يجب أن أجلس في المقدمة لأكيد العزال

.أي عزال يا أمي و أي زفاف نحن في الضاحية و جارتك قد قررت أن عرس ابنتها سيكون في العاصمة أي أنها دعتك لتسكتك فقط لا غير

.ما الذي تعنيه ألن أذهب يا علاء؟

.لا أحد سيذهب يا أمي فالحي بأكمله لا يعرف الطريق للعاصمة و حتى إن عرفناها فإن التكاليف باهظة و نحن لا نملكها

.أنا لا أفهم هذا الكلام سأذهب للزفاف و إلا سأغضب عليك يا علاء غضبا شديدا

ارتعب علاء من تهديد أمه و تذكر مساوئها،فأم علاء مشهورة في الحي إذا غضبت على أحد،تدور بيوت الحي كلها مخبرة الجميع بأنها غاضبة على ابنها لهذا لن يخاطر علاء بذالك أبدا،لهذا قرر أن يأخذها

للعاصمة مستعينا ببطاقة الدعوة و أصدقائه الذين لم يرهم على الفايسبوك كخريطة له في العاصمة.

استجمع علاء قوته و أخذ أمه للعاصمة منشئا على الفايسبوك مجموعة أسماها"لا تجعلوني أتوه في العاصمة"،و هذه المجموعة عبارة عن استنجاد علاء بأصدقائه في الفايسبوك و الذين لم يرهم أبدا.

لم تكن الطريق للعاصمة طويلة أبدا لكن بوجود أم علاء التي جلبت معها ثرثرتها أحس علاء أن الطريق استغرق عمرا بأكمله،فهي لم تدع شيئا يفوتها من أشجار و بنايات و سماء و طول الوقت نفس العبارة على شفتيها "بلدنا جميلة".

وصلت الحافة و بدأت أم علاء فور نزولها إطلاق الزغاريت و مناداة أصحاب الزفاف و علاء يركض ورائها كالمجنون يصرخ و يقول:

.إنها المحطة فقط يا أمي لم نصل للقاعة بعد أبدا،أرجوك توقفي عن الصراخ،الناس ينظرون إلينا.

. لما لم تخبرني لقد جعلتني أصرخ دون فائدة أيها الغبي

. آسف يا أمي فالعاصمة كبيرة جدا و مازلنا لم نعرف طريقا للوصول بعد

أرسل علاء رسالة في مجموعته على الفايسبوك لأصدقائه هناك ليدلوه على الطريق و قد لاحظ علاء خروج أحد أصدقائه من المجموعة ولم يفهم علاء السبب و قد بحث عن حسابه في الفايسبوك لكنه لم يجد أثرا له و كأنه لم يكن موجودا.

تلقى علاء في هذه الأثناء رسالة من صديق آخر يخبره أن العنوان الذي يبحث عنه موجود في حي بعيد عن المحطة وعليه ركوب ثلاث حافلات للوصل إليه.

سقط علاء على الأرض من هول الصدمة و نظر لأمه و فكر في كيفية إخبارها عن الأمر فهذه صدمة مضاعفة لأمه التي تنتظر دخول القاعة بفارغ الصبر.

لم تبد الصدمة بادية على وجه أم علاء فعلى العكس فرحت كثيرا فهي سترى مناظر أخرى للعاصمة،أما

علاء فلقد تنهد و كان روحه تخرج من جسده فالصدمة التي توقعها لأمه كانت له بالدرجة الأولى فثلاث حافلات مع أمه الثرثارة أشبه بالبقاء تحت أشعة الشمس الحارقة في الصحراء طيلة الصيف.

لم تكن أول حافلة بالأمر الهين بل على العكس كانت مدتها ساعة كاملة قضاها علاء يستمع لكلام أمه مع النساء الأخريات في الحافلة فلقد كان الجلوس وسطهم أمرا رائعا لعلاء الذي لم يستحم من قبل بالبزاق المتناثر من أفواههن،ولكن عطايا أمه من البزاق كانت الأوفر فحتما لأنه ابنها قد شملته بخير فمها.

انتهى عذاب المحطة الأولى و كان عليهم الاستراحة و الأكل قليلا لكن أم علاء قررت إكمال الطريق فالساعة العاشرة صباحا و الزفاف على الثانية ظهرا لهذا لا يوجد متسع من الوقت، لم يستطع علاء فعل شيء أمام عناد أمه فذهب لشراء أكل ليأكلاه في الحافلة.

علاء في دردشة كبيرة مع أصدقائه في الفايسبوك و مع ابن عمه الذي يسأله بغيرة شديدة قائلا له:

.أحسدك يا علاء فأنت ذهبت للعاصمة و تركتني وحدي هنا

رد عليه علاء و هو ينظر لأمه التي تفترس الأكل و كأنها ذاهبة للمعركة و كتب له:

.لو ترى النعيم الذي أنا فيه،أتمنى لو تكون معي

وصلت الحافلة لوجهتها و هي الحي الذي فيه قاعة الحفلات أو ما تقوله بطاقة الزفاف اقترب علاء من احد الجالسين في المقهى و أراه بطاقة الزفاف قائلا له:

.أين هذه القاعة ؟

.لا أعرف فأنا لا أسكن هنا

بينما علاء ولقف مع هذا الشخص اقترب شخص آخر منه و أخذ بطاقة الدعوى قائلا له:

.هذه القاعة في الحي الآخر

.ما الذي تعنيه يا سيدي أليس هذا العنوان الموجود على البطاقة؟

.لا فهذا الحي ليس فيه قاعة زفاف مطلقا

بدأ علاء يسأل كل من في الطريق عن قاعة الحفلات الغير موجودة هناك و أمه خلفه تندب حظها فالساعة الثانية زوالا و العرس قد بدأ.

جلس علاء في الطريق ممسكا هاتفه و أرسل رسالة لذالك الصديق الذي لم يره مطلقا فكتب له:

.لقد أرشدتني إلى مكان خاطئ لا توجد قاعة حفلات في هذا الحي

ليجيئه الرد في ثواني قليلة من مئات الأشخاص،فمجموعته التي كانت تحتوي أربعة أشخاص صار فيها خمسمائ ة عضو فعلاء و أمه أصبحا مشهورين على الفايسبوك

لاحظ علاء أن كل الردود متشابهة و هي وجود حيين بهذا الاسم لكن كل حي لديه محطة الحافلات المؤدية إليه،فاكتشف علاء الغلطة و هي ركوبهم

الحافة الخطأ،فعاد لصاحب المقهى و أخبره عن الخطأ المرتكب و طلب منه أن يدله على طريق العودة لكي يستقل الحافة الصحيحة.

.تأسف صاحب المقهى كثيرا قائلا له أنه عليه المشي كثيرا لكي يركب الحافلة العائدة لتك المحطة و بعدها يركب الحافلة المؤدية للحي الذي فيه قاعة الزفاف.

فرحت أم علاء بالخبر قائلة له:

.أنا سعيدة فلقد فوت بداية الزفاف و لن أفوت نهايته...هيا لنسرع يا بني

كانت الطريق سهلة لأنها عبارة عن أسفل منحدر و بالتالي وصل علاء و أمه للحافلة العائدة بهم للمحطة.

استغرق وصول الحافلة نصف ساعة كاملة و بقي علاء مع أمه ينتظران الحافلة الأخرى حتى تمتلئ بالناس لتقلع فهذه القوانين و كان علاء و أمه أول الراكبين عليها.

أقلعت الحافلة بعد ساعة كاملة من التوقف و علاء و أمه داخلها و قد بدا عليهما الإرهاق الشديد و التعب فنظرت أم علاء له قائلة:

. لم أعد أريد هذا الزفاف أريد العودة للمنزل يا بني أما بالنسبة لمن زوجة ابنتها و لم تأخذني معها فسأفضحها في كل بيوت القرية.

رد عليها علاء قائلا لها بهدوء ساخط:

. لا يا أمي أنا الآن أريد الذهاب لذالك الزفاف على الأقل لتعودي بقصة كاملة لجاراتك.

لأجل ذالك الفستان.....

نهضت ريما على غير العادة في الصباح الباكر بالرغم من أنه يوم عطلة،لكنها قررت الهرب من أعمال المنزل،فأمها لا يحلوا لها التنظيف إلا أيام العطلة و لم تجد ريما حجة مناسبة سوى الدروس الخصوصية .

استقلت ريما الحافة المتجهة للمركز التجاري بغية تمضية النهار هناك في التجوال في المحلات التجارية و رؤية الملابس الجاهزة و المستوردة

وصلت ريما للمركز التجاري الذي يقع وسط العاصمة تماما،مطلا على ثلاث واجهات بشكله الضخم الذي يجعله ملاحظا من مسافات بعيدة و جعل منه قبلة سياحية قبل أن يكون قبلة للتبضع.

لم يكن و كأن ريما لم تدخله من قبل لاكنها فعلا أحست باختلاف هذه المرة و كأن شيئا قد تغير في المكان،فبدأت ريما بالبحث عن أوجه الاختلاف لكنها لم تصل لنتيجة أبدا حتى وقفت وجها لوجه معه،فتنها من أول نظرة أحست أن عالمها قد توقف

من حولها باختصار نسيت طريق العودة إلى منزلها فهو قد تملكها بكل ما للكلمة من معنى.

أرادت الاقتراب لاكن الحواجز منعتها،لكنها لم تيأس بل استجمعت قواها و اقتربت أكثر و دخلت المحل الذي دخله،كان المحل متخصصا في بيع الفساتين و لم تعرف ريما سبب دخوله للمحل فهو رجل لم ترى مثله من قبل ولم ترد أن ترى بعده رجلا أبدا،في الحقيقة ليس فيه شيء يجعله استثنائي بل على العكس هو عادي جدا بل أكثر من ذالك هو رجل يمكن أن تلتقي به كل يوم

وقف الرجل يكتشف المكان و كانت ريما تكتشفه و لم تهتم بالمكان حتى اقتربت منها عاملة المحل تسألها:

.كيف أساعدك يا سيدتي؟

.كم ثمن ذالك الشخص الذي يقف أمام الفستان؟

ضحكت عاملة المحل قليلا و أجابتها بلباقة فيها نوع من السخرية:

.ثمنه باهض جدا و ليس عليه خصم أبدا فهو ابن مالكة المحل و هذا هو قطعتها الأصلية التي تتباهى بها أمام الناس،لكن إن كنت تريدينه فهو معروض في المزاد ولكي تشاركي في المزاد عليك أن تكوني ابنة شخص غني جدا و من عائلة مرموقة أيضا،عدا الصفات الفيزيائية التي لا تملكين حتى فتاتها.

ضحكت ريما مع البائعة قائلة لها:

.لقد فهمتني خطأ فانا أريد معرفة ثمن الفستان

.الفستان بألف دولار

كان سماع هذا الرقم من البائعة صدمة كبيرة لريم فلم تجد أمامها حلا سوى الركض مسرعة و الهرب من المكان و التوجه للمنزل و بدأ التنظيف الذي تركت المنزل لأجله فهذا الرقم كان صفعة بالنسبة لريم التي كانت تحتاجها لمعرفة حجمها في الحياة فوالدها الحارس و أمها بائعة العجين،إن عملا طول حياتهما فلن يجمعا نصف الألف فهي من الطبقة الأكثر فقرا.

مرت أيام كثيرة و جاء الصيف و انتهت الدراسة و صار على الجميع البقاء في المنزل فالعطلة صنعت للأغنياء ،و لم أعرف أن هناك فقيرا قد ذهب في رحلة و ركب طائرة و استأجر غرفة في فندق،فالفقراء يقضون عطلتهم في النوم و المطبخ و التنافس على الأطباق في المطبخ و كل فتاة في المنزل لها دورها من العمل و تقوم بالاعتناء بالمنزل،و الفقراء إن خرجوا للتنزه يذهبون لرؤية المحلات و الملابس المعروضة في الأرض على البسطات في الشارع ثم يعودون للمنزل و كان أكثر ما يميز عطلة الفقراء أنها بلا صور تذكارية و حتى إن عطلة الفقراء لا تبقى في الذاكرة أبدا.

ريم تحب المدرسة لأنها تبعدها عن المنزل،فمنزلهم صغير جدا متكون من غرفة واحدة و صالة تنام فيها ريم و أكثر ما يفزع ريم هو أعمال المنزل،لهذا قررت ريم أنها لن تبقى لأعمال المنزل في الصيف أبدا.

لم تطل ريم التفكير مطلقا فكل فكرة جالت في خاطرها كانت تنتهي عند المركز التجاري و لاكن ذالك الشخص لم يعد يظهر في أحلامها أبدا و الفضل

في ذالك للألف دولار التي كنست أحلامها قبل أن تبدأ.

غادرت ريم المنزل في الصباح الباكر بعد إخبار أمها أنها ذاهبة للمركز التجاري للبحث عن عمل هناك و ما قصدته ريم فعلا أنها ذاهبة للمركز التجاري كي لا تعمل في المنزل خصوصا في كرنفال الزيارات،فالمنزل يمتلئ على آخره.

دخلت ريم المركز التجاري و هي تقول في نفسها إن التقيتك فأنت قدري قاصدة ذالك الرجل الذي لن يتكرر أبدا في نظرها،و التقت به هناك وجها لوجه بقدرها الذي لم تختره بل اختارها،فستان لابوغجوازي أحمر عاري الظهر مغلق في الرقبة طويل بذيل الحورية جميل و فقط،هذا الفستان جعل ريم تعلن استسلامها و تكشف كل نقاط ضعفها.

ركضت إليه مسرعة و دخلت المحل و اصطدمت بالعاملة نفسها،فسبقتها ريم بالكلام قائلة لها:

.لا أحتاج وجها جديدا أو أبا غنيا أو أم راقية لارتدائه و هو ليس معروضا في المزاد لهذا إنه من حقي أنا

كان الرد بقهقهة هذه المرة قائلة لها:

.إنه فستان لابوغجوازي أي عشرة آلاف دولار

الصدمة هذه المرة كانت بعشرة أضعاف،مما جعل ريم تقع مغمى عليها على الأرض فاقدة لأي شعور لما حولها و لم تستيقظ إلا بعد إحضار الإسعاف و كاد المسعفون يأخذونها للمستشفى،أو بالأحرى عندما سمعت بلاوعيها كلمة مستشفى استيقظت على الفور فهي لن تغامر بأمها و الحي بأكمله في المستشفى،فالأمر أشبه بمشاهدة مسابقات الثيران الإسبانية وكانت ريم ترتدي اللون الأحمر.

بعد انصراف الناس من حولها و بدأها في استجماع قوتها نظرت للفستان و نظرت لحالتها و قررت أنها عندما تعود في المرة القادمة للمركز التجاري فإنها حتما ستعود لأخذ الفستان.

كان كل شيء واضحا في عقلها،طريقة الدخول و الاختباء في المحل حتى إغلاق المكان و بعدها تأخذ الفستان و تغادر من مخرج الطوارئ،كانت هذه خطة السطو المثالية التي ينقصها أمر مهم جدا و هو عدم تواجدها في البيت في الليل و كيف ستشرح الأمر لوالديها اللذان ينامان متأخرين،فكرت ريم في عدة طرق باءت كلها بالفشل داخل رأسها و لم يبق لها سوى حل وحيد وهو أن تقنع أباها بأن تنام عند جدتها و العطلة هي الحجة المقنعة.

وافق والد ريم و لكن قام بإرسال أمها معها و لم يكن بمقدور ريم الرفض أبدا بل كان ذهاب أمها مقرونا بذهابها للنوم عند جدتها.

غادرت ريم مع أمها إلى منزل جدتها و بما أن المركز التجاري كان يتوسط العاصمة فكل الاتجاهات تؤدي إليه و كان هذا هو جوهر خطتها.

جاء الليل و مازال ذالك الفستان يجول في خاطرها و لا يترك بالها أبدا لهذا قالت لأمها أنها ذاهبة لتنام فهي متعبة و ما يميز منزل جدتها أن له بابان لهذا يمكنها أن

تخرج بكل سهولة و تستقل الحافلة المتجهة للمركز التجاري عليها أن تصل هناك قبل الغلق لتتسلل و تختبئ هناك

اعتمدت ريم في خطتها على الحظ أكثر منه على الذكاء و قد أغفلت أهم التفاصيل و هي كاميرات المراقبة التي ترصد الداخل و الخارج و لكنها تمكنت من اكتشاف الكاميرات بعد أن قبضت عليها الشرطة و جاءت أمها و أبوها لمركز الشرطة أين كانت المفاجئة و هو إظهار أشرطة الفيديو التي تظهر لحظة دخولها إلى المركز و اختبائها بين الفساتين.

لم تستطع ريم أن ترفع رأسها من شدة الصدمة و هي تجيب عن أسئلة المحقق عن سبب دخولها إلى المركز بهذه الطريقة فأجابته ريم قائلة:

. لأجل ذالك الفستان

. أي فستان ؟

. الفستان الأحمر من ماركة لابوغجوازي الذي يباع بعشرة آلاف

صمت المحقق قليلا ثم فاجئها بسؤال آخر قائلا:

. من شركائك في الجريمة ؟

. لا أحد خططت لكل شيء و لا أعرف أين الخطأ الذي ارتكبته

ليجيبها المحقق و هو يضحك:

. الخطأ الذي ارتكبته يا طفلة هو أنك مازلت صغيرة فعمرك ستة عشر سنة فقط و لم تصلي بذكائك بعد للمعرفة بوجود كاميرات المراقبة في المكان،فلقد كنت مشغولة بالدخول و الاختباء لسرقة الفستان فقط أما الباقي فلم يمر على بالك الصغير جدا.

طلب المحقق من والد ريم أن يأخذها معه للمنزل مع طمأنته أنها لن تدخل السجن أبدا فهي مازالت قاصر و في حماية القانون يبقى عليهم المثول أمام القاضي في المحكمة و الذي سيخلي سبيلها على الفور.

أمسكها والدها من يدها ساحبا إياها إلى المنزل و بدأ بضربها ضربا مبرحا و انتظر حتى انتهاء المحاكمة و قام بجمع أغراضه و انتقل نهائيا إلى القرية.

ألو...

. ألو

. من هناك ؟

. هل صوتي تغير يا عماد أم هناك نساء كثر في سماعة الهاتف ؟

. عبير..هذا أنت لا تغيرين من طباعك أبدا

. سأغير من طباعي عندما تتوقف عن خيانتي

. خيانة .. عن أي خيانة تتكلمين ؟

. أنت تعرف ما أعنيه ؟

. لا ، أنا لا أعرف ماذا تعنينه أتمنى منك التوضيح أكثر

. من هي الفتاة التي تسايرها في التعليقات على صورك في الفايسبوك ؟

باستغراب تام رد عليها عماد:

. هل أنت جادة في كلامك ؟

. ما رأيك هل أبدو لك أنني أمزح ؟

. بالطبع فالشيء الذي تقولينه يبدو لي مزاحا

. إذن أنت تتهرب من الإجابة ؟

. هذا ليس تهربا لكن أنظري لنفسك كيف تريدين أن تشعلي حربا ليست موجودة أساسا خصوصا أنك تعرفين أنني أجامل الجميع في التعليقات

. لكن لماذا هي بالذات من تجاملها على تعليقاتها في كل صورة لك

. سأقفل الخط لأنني متعب جدا

. تهرب كعادتك من الإجابة

. أنا لا أتهرب لكنك تضخمين الأمور كثيرا و هذا الأمر الذي أكرهه فيك

. واو... لم أكن أعرف أنك تكره أشياء في شخصيتي

. لا يا عزيزتي لم أكن أقصد الذي فهمته (بقلق)

. إذن ما الذي قصدته ؟

بتلعثم شديد قال لها:

.قصدت انك لا تكونين جميلة عندما تكونين غاضبة لهذا ابتسمي

صمتت عبير طويلا ثم قالت له:

.أتذكر صورتك مع القرد

.نعم ما خطبها ؟

.لقد سألتك أين التقطها فأجبتها في حديقة الحيوانات أليس كذالك ؟

.نعم هذا صحيح أرادت فقط أن تعرف المكان لا أعتقد أن هناك مشكلة في الأمر

.لا ليست هذه المشكلة لا تستعجل

و أكملت عبير كلامها:

.ثم بعد ذالك سألتك،كيف تذهب إلى تلك الحديقة....صح

مترددا و العرق يتصبب منه قائلا لها:

.نعم

ثم انطلق مسرعا لتلك الصورة و ذالك التعليق لكي يمسحه فجاءته عبير قائلة:

.لا داعي لمسحه يا حبيب فلقد صورة الحوار كله

تجمد عماد في مكانه،لكنه استجمع قواه و رد عليها بصوت غير مسموع قائلا لها:

.لن امسح أي شيء يا حبيبتي

قاطعته عبير صارخة في وجهه

.هل ستتركني أكمل كلامي أم لا ؟

.بالطبع يا قلبي أكملي كلي آذان صاغية لك

.بعد سؤالها عن مكان حديقة الحيوانات جاء ردك يا عماد و هو هل أعجبك المكان

أي أن هناك حوارا آخر دار بينكما و هذا الحوار كان في مكان آخر،أي لم يكن في التعليقات

و أكملت:

.إذن أين كان مكان الإجابة عن هذا السؤال

.؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟

.و لا داعي لأن تجيبني فلقد أجابتني تلك في آخر تعليقاتها على الصورة

و هنا نظر عماد لآخر تعليق على الصورة و قرأ بينه و بين نفسه:

"كان يوما مميزا في حديقة الحيوانات لقد فرحت كثيرا بالنزهة معك"

عجز عماد عن الكلام لكن عبير لم تتوقف أبدا و قالت له:

.لم أكن أعرف أن ذهابك للعاصمة سيغيرك هكذا،فأنت أصبحت كاذبا بارعا و شخصا لا يصون شرف غيره،تبا للعاصمة التي غيرتك و أبعدتك عني،اسمع أنا لن أكمل طريقي معك فأنت لم تعد نفس الشخص الذي أحببته و كنت ألعب معه في الحقول منذ الطفولة فلقد أصبحت شخصا آخر تماما

أغلقت عبير سماعة الهاتف تاركة عماد الذي قضى ثلاث سنوات في العاصمة غير قادر على التغلب على ذكاء ابنة عمه و خطيبته التي لم تغادر القرية مطلقا و أكثر ما يزعج عماد أنه هو من أدخلها لعالم اسمه الفايسبوك.

مستقبلي هناك...

.أنا سعيدة جدا لأننا خرجنا للغداء في الخارج و أخيرا تمكنت من ارتداء حذائي الجديد و الذي بالمناسبة هل أعجبك ؟

.أنت تعرفين يا سمر أن أي شيء ترتدينه تجعلينه جميلا يا عزيزتي

شعرت سمر بالخجل من هذا الإطراء من فؤاد فأنزلت رأسها و ابتسمت له و هو رد لها الابتسامة و أكمل حديثه معها قائلا:

.لم يكن هناك ضرورة للخروج و كل هذه المصاريف،كان يمكن أن نبقى في المنزل و نشعر بنفس هذا الشعور بالحب الذي يغمرنا الآن

اختفت تلك الابتسامة من على وجه سمر و نظرت مباشرة إلى فؤاد و قالت:

.لو كنت أعرف أنك بخيل لما تزوجتك

.الأمر لا يتعلق بالبخل بل بالمستقبل

.أنت تريد أن تقول لي أن غداءا في الخارج قد جعلك مفلسا

.ليست مشكلتي في الغداء إلا إن احتسبنا هذا المطعم الذي فيه خمسة نجوم و الطبق فيه غالي جدا،لكن المشكلة هنا هي ثيابك و هذا الحذاء

.ما خطب الحذاء الآن

.هل كان عليك شرائه من العلامة الأصلية ألم يكن من الأحسن شرائه من علامة مقلدة و بسعر أقل بكثير من سعره الأصلي.

وقفت سمر مصدومة في كلام فؤاد و لم تتمكن من تمالك أعصابها فغادرت المكان غاضبة جدا و هي تقول له:

.لدينا منزل نتكلم فيه لأنني لن أصرخ هنا أبدا

ناداها فؤاد قائلا لها:

.على الأقل أكملي الصحن الذي سأدفع ثمنه

عاد فؤاد للمنزل في المساء و فور دخوله من الباب قابلته سمر بالصراخ و اللوم و كان البيت في حالة فوضى عارمة فقبل قدومه كانت سمر قد أخرجت غضبها في أثاث المنزل و كل شيء.

وقف فؤاد متسمرا في مكانه يتلقى اللوم و الصراخ و بعد مرور خمسة سنوات على زواجه من سمر فلقد تأقلم مع طباعها الحادة و قد درب نفسه على الخروج سالما من الشجار معها و ذلك من خلال إعطائها الحق في كل شيء لكي تتوقف عن الصراخ في أقرب وقت ممكن.

نهض فؤاد في الصباح بعد قضائه الليل على الأريكة فهذا هو الروتين بعد كل شجار فسمر تعاقبه بإجباره على النوم خارج الغرفة و يفرح بنهاية الشجار و يتحمل العقوبة مهما كانت و بينما فؤاد يجهز القهوة في المطبخ رن الهاتف و كان المتصل مديره في العمل يقول لفؤاد أنه قد عينه كرئيس للمشروع الجديد الذي ستقوم به الشركة في الأرياف لهذا يجب عليه الانتقال للريف للبقاء هناك لمدة أقصاها سنتين و

قد وعده مديره أنه بعد السنتين سوف يصبح فؤاد مديرا عاما لكل مشاريع الشركة.

أقفل فؤاد سماعة التلفون و بدأ يرقص و يصرخ لوحده فخرجت سمر من غرفة النوم مسرعة تسأله عن السبب وراء هذه الصراخ،فأمسك فؤاد يدها قائلا لها:

.سوف تلبسين كل الثياب التي تريدين و سأحضر لك خادمة في المنزل لكي تطبخ لك

بفرح يملئه الاستغراب قالت له:

.كيف ذالك يا حبيبي ؟

.سوف أصبح مدير المشاريع في الشركة

فرحت سمر بالخبر قائلة:

.أخيرا قاموا بترقيتك لقد انتظرنا الترقية مدة طويلة

قاطعها فؤاد قائلا:

. قبل أن أستلم المنصب يجب أن نذهب للأرياف لسنتين فهناك مشروع علي تنفيذه أولا

أفلتت سمر يد فؤاد و كانت الصدمة بادية على وجهها و هي تقف بدون حراك تنظر له و لم تتفوه بكلمة واحدة أبدا،مكتفية بفتح فمها و النظر إليه،و لكي يطري الأجواء قليلا قال لها:

. بعد السنتين يا حبيبتي سوف تلبسين أغلى الثياب و سوف نأكل كل يوم في أفخم المطاعم

. و العاصمة ؟

. سوف تبقى كما هي لن يتغير فيها شيء أبدا

. لا أعرف إن كنت استطيع الابتعاد عن العاصمة

. ما الذي تعنيه ؟

. لن أتخلى عن روتيني و أذهب لمكان صامت

. هذا منظورك عن الريف...مكان صامت فقط ؟

اتجهت سمر للشرفة المطلة على الجسر و أكملت كلامها:

. العاصمة و أضوائها و ضجيجها الذي أكرهه أحيانا لكن لا يمكنك أن تنكر أن هذا الضجيج نحتاجه، و أنت بهذا العمل تطلب مني أن أتخلى عن كل ما أحبه لأجل البقاء في منظر واحد طيلة الوقت

. المفترض أنك تحبينني و هذا الزواج مبني على الحب و الالتزام،أي أنك ستبقين معي في كل شيء.

. أعرف أن ما تقوله صحيح لكن أن تعيش في العاصمة طول عمرك و فجأة تستيقظ في الريف،هذا لوحده صدمة لن أتحملها

. و لكن حبيبتي إنها مجرد سنتين فقط

. بالنسبة لك سنتين لكن في الريف لمن ليس متعودا ستكون السنتين عمرا طويلا

. ما الذي تريدين الوصول إليه من خلال هذه المناقشة

مشت سمر باتجاه غرفة النوم و هي تقول لفؤاد:

.أريد البقاء وحدي لبعض الوقت

جلس فؤاد على الكنبة متحسرا و مصدوما في المرأة التي ترفض حياة الترف التي ستحصل عليها بعد سنتين و السبب أجمل الأماكن في أي بلد و هي الأرياف،لم يعد فؤاد يعرف ماذا يفعل و لا كيف يتصرف فمن جهة زواجه و من جهة أخرى مستقبله.

مر يومان على تلك المناقشة و سمر لم تعطه جوابا فقرر فؤاد دعوة سمر للعشاء لكي يعرف قرارها حول الموضوع،فذهب لغرفة النوم يدق الباب لكن دون جدوى،فدخل الغرفة ليفاجئ بأن الخزانة فارغة ليس فيها سوى ثيابه فقط مع رسالة فوق السرير مكتوبة فيها "الوداع صعب لكن أنا لن أترك العاصمة أبدا،أنا أحبك و لكن أحبك في العاصمة فقط،و أنا أعرف أنني سوف أكرهك في الريف،لهذا ساعدني على إبقاء حبي لك مشتعلا و أتمنى أن تعود بعد سنتين و ستجدني انتظرك بشغف"

كانت الصدمة قوية على فؤاد الذي لم يكن يظن أن الريف مخيف هكذا خصوصا أنها مجرد سنتين و لا يحتاج الأمر كل هذه الدراما و لا هذه الرسالة.

اتخذ فؤاد قراره بالذهاب للريف للعمل هناك،مودعا سمر برسالة حرص أن تصلها بعد ذهابه و قال فيها:"قد تكونين حب حياتي لكن مستقبلي عندي أهم و بخصوص السنتين لا داعي لانتظاري فانا لا أظن أنني سأبحث عنك بعد سنتين و ببساطة لقد تخليت عني في أول اختبار حقيقي لنا كزوجين،العاصمة ليست حجة مقنعة،و الريف يا زوجتي هو مستقبلي لحياة أفضل في العاصمة....انتهت علاقتنا".

أخيرا تخرجت من الجامعة....

عادت فرح إلى القرية حاملة الشهادة الجامعية من العاصمة و كلها سعادة بهذا الإنجاز الذي لطالما حلمت به و سعت إلى تحقيقه و هو أن تعود لمنزلها مثقفة تحمل الشهادة الجامعية بعد قضائها أكثر من خمسة سنوات في العاصمة تدرس هناك و لم تكن تأتي إلا غالبا حتى أن معظم أهل القرية قد نسوا أمرها.

دخلت فرح المنزل سعيدة جدا و كان والدها أول المستقبلين لها و الدموع تملئ عينيه و كان أول سؤال منه هو:

. هل أحضرته معك ؟

فأجابتها فرح بسرور و هي تحمل شهادة التخرج قائلة:

. نعم يا والدي إنها معي شهادة تخرجي لقد أحضرتها معي

فرد الأب قائلا:

. لم أكن اقصد هذا الأمر بل كنت أتكلم عن الأمر الآخر

باستغراب شديد ردت عليه:

. أي أمر يا والدي أنا لا أفهمك ؟

و قبل أن يجيبها خرجت أمها بالزغاريد مرحبة بابنتها التي أصبحت محامية لها شأنها في الحياة، و سحبتها أمها للداخل تستفسر منها عن كل التفاصيل و لم ترد أم فرح أن تنسى فرح أي تفصيل خصوصا الصغيرة منها ففي الخمسة سنوات الماضية لم ترى أم فرح ابنتها سوى بضعت أسابيع بحكم الدراسة و الضغط في الجامعة.

بدأت فرح تمر على الصف الذي شكله أفراد الأسرة للترحيب بها و السؤال عن أحوالها و كان كل شخص يسألها نفس السؤال وهو:

. هل أحضرته معك ؟

و كانت فرح تجيبهم ببساطة حاملة شهادة التخرج قائلة لهم:

.نعم لقد أحضرتها معي إنها هنا، قاصد ة بذالك شهادة التخرج التي جاءت بها

استغربت فرح من رد فعل الجميع فلم يبدوا اهتماما بشهادة نجاحها و كأنهم كانوا ينتظرون أمرا آخر

مضى اليوم بسرعة فذهبت فرح لتنام غير منتبهة لنظرات أفراد الأسرة لها،التي كانت نظرات غاضبة جدا،فسأل والد فرح أمها قائلا لها:

.هل فاتحتها بالموضوع ؟

.ليس الوقت مناسبا، دعها تستريح قليلا

.أنا لا أفهم هذا الكلام؟ سو ف تكلميها في الصباح الباكر

تنهدت أم فرح قائلة له و العائلة كلها تنظر:

.حسنا كما تريده.. سأخبرها في الغد

جاء الغد و نهضت فرح كلها سعادة لأنها أصبحت في المنزل و لاكن والدها ليس سعيدا بهذا الرجوع ،فهو

سعيد بنجاح ابنته لكنه ليس سعيدا برجوعها أبدا فطلب من أمها أن تفاتحها بالموضوع

جلست فرح مع أمها في المطبخ سعيدة بالعودة إلى المنزل،أمسكت أمها بيدها و قالت لها بصوت خافت:

. هل أحضرته معك ؟

نظرت فرح لأمها مندهشة و قالت لها:

. حتى أنت يا أمي ما خطب الجميع مع هذا السؤال الذي بقي يتردد رغم إجابتي عليه ألاف المرات

. نحن لم نسألك عن الشهادة يا فرح

. ما الذي تعنينه يا أمي ؟ ما هو الشيء الذي علي إحضاره معي و ليس الشهادة التي ذهبت للعاصمة لأجلها ؟

أنزلت أم فرح رأسها للأرض و الدموع تنهمر من عينيها و قالت:

. رجل يتزوجك

وقفت فرح مصدومة وهي تستمع لكلام أمها المملوء بالتخلف عن ذهاب فرصتها في الزواج من رجل في القرية فذهابها للعاصمة قد جعلها خارج حسابات الرجال و أمهاتهم

لم تستطع فرح تحمل الأمر أبدا فوقفت بغضب و قالت لأمها:

.أي رجل و أي زواج أنا محامية يا أمي هل تعرفين ماذا يعني هذا ؟

.لا توجد شهادة تستطيع تغيير المعتقدات القديم و التي يتوارثها الناس عن أبائهم و يتركونها لأبنائهم، صدقيني يا فرحتي في الحياة أنا أكثر شخص سيريد تغيير هذه الأفكار و لا تنسي انك ذهبتي للعاصمة بعدما أقنعت والدك و أقنعته بضرورة تعليمك لكي تنفعينا به

.هذا صحيح يا أمي فلقد تعلمت و صرت مثقفة و آن الأوان لكي أزيل هذه الفكرة من عقول أهل القرية

.سأقف معك في ذالك لكن كوني واثقة فهذا التفكير هو الروتين اليومي لأهل القرية و أمامك طريق طويلة

قاطع والد فرح هذه المحادثة قائلا لأم فرح:

.لقد قلت لي قبل خمسة سنوات أنها ستعود من العاصمة و الشهادة في يدها و زوجها أيضا سيكون معها فلقد خضنا أنا و أنت هذا النقاش منذ زمن فكوني متأكدة يا امرأة أن ابنتك لن تتزوج أي شخص من أهل القرية و صدقيني لو كان لدي ابن فلن يأخذها أبدا،و غادر المنزل تاركا فرح و أمها و قد قررتا البدء في التخطيط لتخليص أهل القرية من التفكير المتخلف اتجاه المرأة المتعلمة.

كانت أول خطوة هي اجتماع لنساء القرية لتتكلم فرح معهن فذهب أمها و جالت بيوت القرية،تدعوا نسائها للقدوم للاجتماع الذي ستقيمه ابنتها المحامية فرح لتكلمهم عن موضوع مهم جدا.

لم يكن الأمر سهلا بل على العكس،كان المرور على بيوت القرية بمثابة إعلان لأهلها عن عودة الفضيحة

للبيت،فنظرات النسوة كانت كافية لقتل أمها بدون سلاح للجريمة

عادت أم فرح لابنتها سعيدة جدا و قالت:

.لقد فرحت النسوة بهذا الاجتماع و قد وعدنني بالقدوم

قرأت فرح في عيون أمها ما أخفته ابتسامتها العريضة،لكن فرح لم تيأس بل عقدت عزمها على تغيير تفكير أهل القرية.فذهبت إلى الاجتماع ممسكة يد أمها التي لم ترد إفلاتها مهما حصل

لم يكن الاجتماع بالشيء المهم فلم تأتي أية امرأة بل كانت فرح و والدتها كل الحاضرين لاكن هذا الأمر لم يثني عزيمة فرح التي نظرت لأمها و قالت لها بعزم شديد

.لا تقلقي أعدك يا أم فرح أنني سأغير تفكير أهل القرية

قاطعتها والدتها قائلة:

.و إن لم تنجحي يا فرحتي ؟

.سأذهب للعاصمة و احضر زوجي معي

تحسنت الأمور مع مرور السنوات فبعد أن كان الحضور فرح و أمها أصبح الحضور مجموعة من النساء الكبيرات في السن و التي اتخذن مكان الاجتماع مكان للقاء و الكلام و الضحك على فرح التي أصبح فضيحة أهل القرية،فالسنوات العشر التي مرت لم تشفع لأهل القرية أبدا فبالرغم من أن فرح تعمل كمحامية لأهل القرية عندما يحتاجونها،لاكن لا يوجد احد منهم يتقدم لخطبتها أبدا

غادرت فرح مكان الاجتماع متذكرة كلام أمها المتوفاة التي أخبرتها به و قررت فرح أن تفي بالوعد الذي قطعته لأمها في حال فشلت في تغيير تفكير أهل القرية اتجاه المرأة التي تذهب للعاصمة للدراسة

ودعت فرح القرية و تفكيرها الراسخ في الأذهان و اتجهت للعاصمة قبل أن يفوتها قطار الزواج.

لم أعثر عليه....

عاد صالح لمنزله في القرية غاضبا و حزينا بعدما ذهب للعاصمة لزيارة ابنه المتزوج هناك و لكنه أخبر الجميع أن العاصمة قد ابتلعت ابنه فهو لم يجده و قد تاه عنه و أصبح منذ ذالك الحين يكره العاصمة و يكره الناس فيها و مع مرور السنوات أصبح معروفا بأنه يعاد أي شخص يذهب للعاصمة و أصبح الناس يتجنبونه لكثرة سخطه على العاصمة.

كان صالح جالسا كعادته في أرضه غارقا في تفكيره فاقترب منه ابنه الأصغر أحمد و جلس بقربه و نظر إليه مباشرة و قال:

.ألم يحن الوقت لكي تنسى و تسامحه يا والدي،لقد مضت عدة سنوات و أنت لم تذكره أبدا

بحزن شديد مملوء بالغضب أجابه:

.ليس لدي ابن آخر

.أنت تعرف جيدا أنه لديك ابن أكبر مني يعيش في العاصمة يا والدي

وقف صالح بسرعة و دفع ابنه على الأرض و خاطبه صارخا:

. أخبرتك أنه ليس لدي أولاد آخرون فأخوك قد تاه مني في العاصمة و لم أجده أبدا

. بلى يا والدي قد وجدته و لقد جاء للاعتذار منك آلاف المرات لكنك كنت تطرده باستمرار

. أنا لم أطرد ابني بل طردت زوج تلك المرأة التي اشمأزت مني و من رائحتي العادية و التي أبعدت أحفادي عني و ربتهم على الضحك على جدهم و التأفف عند قدومه،أخوك يا ولدي لم يدافع عني،بل لم يوقفها عند حدها أبدا،كان أسوء أسبوع في حياتي و سيبقى أخوك يأتي و لن أسامحه أبدا و تعرف السبب يا أحمد

. لماذا يا والدي ؟

. كان أخوك طيلة السنوات الماضية يأتي وحده فقط يا بني لم يحضرها للاعتذار مني و لم أرى أحفادي منذ

ذالك اليوم، فأخوك يا ابني مازال تائها في العاصمة و لن أسامحه حتى يعرف طريق العودة.

قرر أحمد بعد سماع والده يتكلم هكذا أن يذهب للعاصمة لكي يعيد أخاه للمنزل للاعتذار من والده و لكنه كان خائفا من ردة فعل والده عند سماع الخبر لهذا قرر عدم إخباره بالأمر أبدا فاستيقظ في الصباح الباكر و انطلق للعاصمة و كان قد قرر أن يعود بعد يومين و أخوه و عائلته معه لكي يعتذر من والده اعتذارا لائقا.

عاد صالح إلى البيت في المساء بعد أن سمع من أهل القرية أن ابنه ذهب للعاصمة فلم يتمالك نفسه أبدا و بدأ يصرخ قائلا:

.العاصمة اللعينة ابتلعت أولادي جميعا لم تترك لي أي احد

مضى شهر كامل و كان صالح قد نسي أحمد مثلما نسي أخاه قبله و قد تزوج مجددا لكي ينجب ولدا آخر

و قد سلم أمره لله و صار ساخطا أكثر من قبل على أهالي القرية الذين قد هجروه مثلما هجره أولاده.

بالرغم من القوة التي يبدوا عليها صالح إلا أنه اتخذ ركنا من أرضه لكي يبكي فيه بعيدا عن أهل بيته فهمه كبير جدا ،و بينما صالح يبكي اقترب منه أحمد و أعطاه منديلا و قال له:

.جفف دموعك يا والدي

استدار ليرى من يكلمه فرأى أحمد و أخاه قد عادا مجددا إليه،فركض أخوا أحمد يقبل يد والده و يعتذر منه و يبكي بين قدميه و قد جاءت زوجته أيضا تعتذر لوالد زوجها الذي كانت سعادته لا توصف بهذا اللقاء الذي لطالما انتظر حدوثه

وسط هذه الأجواء السعيدة نظر صالح لأحمد و قال:

.لم تته في العاصمة يا بني

.لا يا والدي لم أضع في العاصمة بل عرفت طريق العودة إليك

أنا لا أفهمك...

انتقل جمال منذ سنة للدراسة في العاصمة فهو لم يكن يعرف أن أهل العاصمة يملكون لغة أخرى تختلف كثيرا عن لغة باقي المناطق،لكن هذا الأمر لم يثني عزيمة جمال في التخرج من الجامعة و بناء مستقبل.

كان الأمر عاديا في البداية عندما لا يفهم زملاء جمال لكنته أبدا فيطلبون منه إعادة الكلام مع قليل من الضحك،لكن مع مرور الوقت لم تعد أعادة الكلام مرغوبة عند جمال الذي مل ضحكاتهم و استهزائهم به خصوصا أنهم لم يحترموه أبدا بالرغم من وجود بعض اللطفاء معه إلا أن المتنمرين كانوا الفئة الغالبة منهم.

غادر جمال العاصمة بعد انقضاء السنة الدراسية و قد قرر عدم العودة مجددا إلى تلك الأجواء و قرر مفاتحة والده في الأمر لأنه ليس متعودا على إخفاء أي شيء عليه مطلقا

جلس جمال مع واده في البرية يتسامران تحت ضوء القمر و أصوات الذئاب البعيدة شكلت لحنا جميلا جدا، وضع جمال كوب الشاي من يده و نظر لوالده و قبل أن ينطق بحرف واحد قال له والده:

.سوف تعود السنة المقبلة للجامعة و سوف تتعود

أجابه جمال مصدوم :

.كيف عرفت ؟

.قبل عشرين سنة ذهب أحد أبناء القرية للعاصمة للدراسة و بعد قدومه بدأ يهين أهلنا في العاصمة و لم يدع شيئا يسلم من لسانه فلقد أصبح هذا الشخص ينشر الفتنة و لا أحد يفلت من لسانه و هو الآن من أخطر المجرمين على الإطلاق

.أتعني بكلامك العم حسن الذي قضى معظم حياته في السجن

.نعم يا ابني فحسن ذهب سعيدا للدراسة في العاصمة و بعدها عاد بدون شهادة و بدون روح حتى فلقد ترك روحه هائمة في أحياء العاصمة

.الوضع صعب هناك يا والدي،لم أعد أتحمل الأمر أبدا

.حسن استسلم لهم و لكنك لن تستسلم أبدا بل ستعود و ستتعود على الأمر و لن أسمح لك بأن تشعل حربا أخرى في نفوس الناس أبدا

.و لكن يا والدي

.لا أريد سماع كلمة أخرى، كل ما تحتاجه هو شخصية للتغلب عليهم و بعدها كل شيء سيكون بخير فأنت يا بني لا تملك فكرة عما فعله حسن بنفسه و بنا فقلد دمرنا جميعا بأفعاله فكم من شخص كره أهلنا في العاصمة بسببه و نقم على أهلها و أصبحت بين بعضنا عداوة كل هذا يا ولدي بسبب أمثال حسن الذين بنو للناس قصورا في عقولهم يا ولدي فبدل أن يكونوا أقوياء على التحمل صاروا متخاذلين و مهزومين و سمحوا لأشخاص عاديين أن يزعزعوا ثقتهم في نفسهم

.ألهذه الدرجة يا والدي أثر حسان على الجميع

. نعم فحسان قبل ذهابه كان محبوبا جدا و ذا شعبية كبيرة و زادت شعبيته بعد المعدل الكبير الذي انتقل به للجامعة، لكنه ترك كل هذا يذهب أدراج الرياح فهو لم يقبل بالخسارة لوحده بل حرص على زرع الحقد في نفوس الجميع،لقد كان حسن فرحتنا جميعا و لكنه أصبح مشكلة يصعب حلها

. ألم تحاولوا أن تتكلموا معه يا والدي ؟

. فات الأوان على ذالك فبدل التكلم معه أنا أكلمك أنت يا جمال لنقل إنك الوحيد القادر على أصلاح ما فعله حسن بنفسه و بنا جميعا

. كيف ذالك يا والدي ؟

. بدأ الأمر كله بشرارة صغيرة لتصبح نيران عمرها عشرون سنة فأكيد شرارة محبة صغيرة تطفئ النيران الكبيرة فحتما يا ولدي عندما تكمل تعليمك في العاصمة و تعود لتحكي عن جمال أناسها،ستنطفئ نيران الحقد و الكره التي أشعلها حسن طيلة عشرين سنة

نظر جمال لوالده متفاجئا و فخورا و قال له:

. شكرا لأنك والدي

انقضى الصيف بسرعة و عاد جمال للعاصمة التي لم يتغير فيها شيئا لكن اكتشف جمال أن الناس مع مرور الوقت قد تعودوا عليه و أصبحوا عاديين في تعاملهم معه و لم يعد جمال غريبا عنهم بعد الآن

كانت مهمة جمال في كل الصيف هو الجلوس مع الناس في منطقته و التكلم معهم و إخبارهم عن أناس العاصمة اللطفاء و محاولة تغيير وجهة نظرهم و توضيح الصورة لهم فالذي ينطبق على الجزء لا ينطبق على الكل بالضرورة

بقي جمال طيلة الوقت ينتظر قدوم حسن و مشاركتهم الكلام،لكن دون جدوى فحسن بقي على رأيه و لكن الفضل يعود لجمال في توقف الناس عن الإصغاء له و كما بقي حسان لسنوات طويلة يبني إمبراطورية الكراهية فجمال قرر وهب حياته لنشر المحبة بين الناس ففي النهاية هم أولاد بلد واحدة .

الفهرس:

البداية صعبة لكنها ليست مستحيلة

العاصمة

يمينة فادن